

السلام ضرورة إنسانية

Peace: A Humanitarian Necessity

بوجمة قديدير *

Boudjema Kedidir

المركز الجامعي صالحى أحمد النعامة - الجزائر -

University Centre of Salhi Ahmed Naama – Algeria-

kedidir.anas@gmail.com

تاريخ النشر

Publication date

31/05/2024

تاريخ القبول للنشر

Acceptance date

18/05/2024

تاريخ الاستلام

Submission date

28/11/2023

ملخص:

في القرن 18 دعا كانط الى مشروع السلام الدائم والشامل بتضييق دائرة العنف وتوسيع دائرة السلام، لكن الإنسانية لم تعرف بعده إلا الحرب والصراع، حتى سُمي عصرنا هذا عصر الأزمات، وتبخر حلم السلام الدائم والشامل.

لكننا مع ذلك نؤمن بقدرة الإنسان على تجاوز أزماته وتحقيق سعادته، متى توفرت الشروط ولعل أبرزها: نظام ديمقراطي يحقق العدالة والمساواة، باعتبارها غاية الغايات، التربية والتعليم التي تصنع الإنسان الصالح المستنير المعمر لا المدمر، وفي غياب ذلك يكون الإنسان أشد من الحيوان وحشية ورجساً. مع تكريس القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية الفاضلة وغرسها في الناشئة، ونشرها في المجتمع من خلال المؤسسات الاجتماعية والثقافية. وأخيراً نخبة مستنيرة تصنع أمة فاضلة متحضرة، فالعلماء أساس التنوير والتغيير..
الكلمات المفتاحية: السلام؛ العدالة؛ التعليم؛ القيم؛ النخبة.

Abstract:

In the 18th century, Kant called for a project of comprehensive and lasting peace by narrowing the circle of violence and expanding the circle of peace. However, humanity has since only known war and conflict, to the extent that our era has been named the era of crises, and the dream of permanent and comprehensive peace has evaporated.

Nevertheless, we believe in the ability of humans to overcome their crises and achieve happiness when the conditions are met. Among the most prominent conditions are a democratic system that achieves justice

* المؤلف المراسل

and equality as ultimate goals, education that moulds enlightened and virtuous individuals, and the absence of which can make humans more savage and repulsive than animals. It also involves dedicating and instilling religious, ethical, and virtuous values in the young generation, and disseminating them in society through social and cultural institutions. Finally, enlightened elite that creates a virtuous and civilized nation, with scholars serving as the foundation for enlightenment and change.

Keywords: Peace; justice; education; values; elite.

مقدمة:

في القرن الثامن عشر للميلاد دعا فيلسوف التنوير كانط الى مشروع السلام الدائم والشامل، وأكد أن التطور الصحيح للتاريخ البشري يستدعي تضيق دائرة العنف وتوسيع دائرة السلام من خلال التعاون والتآخي ونبذ كل أشكال الحقد، والكرهية والتمييز العنصري والاستغلال.

لكن الإنسانية لم تعرف بعده إلا العنف والصراع، فقد اندلعت حروباً عالمية مدمرة في العالم المتحضر، تجاوز عدد ضحاياها أكثر من خمسين مليون قتيل، واليوم نعيش حرباً عالمية ثالثة في أوكرانيا بين الشرق والغرب، تحصد فيها الآلة العسكرية الأرواح بشكل متوحش وشرس. وظهرت أحداثاً خطيرة هدّدت مبدأ الديمقراطية الذي هو أساس النظام السياسي الغربي وزاد التوتر والصراع والتنافس العسكري مما ضاعف من قوة الأسلحة المدمرة في العالم. إن عصرنا هو عصر الأزمات، فالحروب ازادت شراسة والتدخلات السافرة للدول القوية في شؤون الدول الضعيفة واعتداءات الولايات المتحدة الأمريكية على الدول الضعيفة (العراق وأفغانستان ...) وانتهاك القوانين الشرعية الدولية، وفرض سياستها الظالمة على الشعوب بالقوة والقهر، متذرعة بحجة محاربة على الإرهاب ونشر الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، حتى ربط البعض بين الديمقراطية ومصلحة القوى العالمية الكبرى، وأصبحت الديمقراطية تفرض على الشعوب بقوة السلاح، وهذا عين التناقض لأن الديمقراطية تعني سيادة الشعوب، وليس سيادة القوى على الضعيف. والكيان الصهيوني يقوم بمذبحة وإبادة جماعية للفلسطينيين، ويتفّن في جرائمه الوحشية ضد الإنسانية أمام مرأى ومسمع وسائل الإعلام، وبمباركة وتأييد من (العالم المتحضر). وهذا ينسف مبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان وميثاق الأمم المتحدة...الخ.

أما العالم المتخلف الذي يحكمه الطغاة وتجّار الدين والسياسيين الفاسدين فهو أكثر فسادا ومرارة وبؤساً ولا يعرف إلا منطق القوة والقهر والعنف وديمقراطيتهم المستبدّة لا تقوم إلا

على التغلب والتغول. ورَّيعنا العربي خلق الفوضى المدمرة التي أهلكت دولا متهالكة أصلاً... واليوم نشاهد ما يفعله الجنرالات في السودان الذين خربوا بيوتهم بأيديهم، وبتدبير من أعدائهم، وكأنَّ هذا العالم المتخلف لا يزال قاصراً عاجزاً عن إدارة شؤونه بنفسه ولا يحسن التدبير والتدبير، ولا يعرف ذاته ولا ما يُحَاك ضده.

أثبت الواقع أنَّ المجال السياسي مجال للصراع والحرب ولا بقاء فيه إلا للأقوى، بحسب المنطق المكيفالي وأنَّ الأمن والسلم العالميين مجرد أذوبة، فقد ازدادت وتيرة العنف والصراع حتى أصبحت أكثر شراسة، وأُججت نارها وسائل الإعلام وشبكات التواصل الإلكترونية، فصارت الأديولوجيات المتطرفة العلمانية والدينية أكبر تهديداً لحياة الإنسان. وكأنَّ البشر لا يعرفون إلا منطق العنف، كما أكد هراقليطس قديماً وهوبس ومكيافيل ونشبه حديثاً. لكن رغم ذلك نؤمن بقدرة الإنسان على تجاوز أزماته وتحقيق أمنه واستقراره، لأنَّ إعادة النظر في الأحكام والقناعات ممكن، وامتلاك القدرة على فعل التغيير ممكنة جداً، متى توفرت الظروف والشروط.

وحتى يصير الممكن غنا، كان سؤالنا هو: ما هي شروط العيش الآمن والحياة السعيدة؟ كيف يمكن تحقيق العيش بسلام ودفع تغول الإنسان على أخيه الإنسان؟
حل هذه الإشكالية اعتمدنا على المنهج التحليلي التقدي المقارن باعتباره أكثر تناسباً مع طبيعة بحثنا. أما الفرضيات المعتمدة فهي أنَّ العيش بسلام والحياة الآمنة ممكنة متى توقرت الشروط منها: نظام ديموقراطي حقيقي يحقق العدالة والمساواة، باعتبارها غاية الغايات ومطلب كل المجتمعات، والتربية والتعليم التي تصنع الإنسان الصالح المستنير المعمر لا المدمر، ثم تكريس القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية الفاضلة وغرسها في الناشئة، ونشرها في المجتمع من خلال المؤسسات الاجتماعية والثقافية. وأخيراً نخبة مستنيرة تصنع أمة فاضلة متحضرة، فالعلماء (باعتبارهم ورثة الأنبياء) أساس كل تنوير وتغيير. أما الهدف من المقال فهو تقديم مقارنة فلسفية للحد أو التخفيف من العنف والصراع، ونشر التسامح والتآخي والسلام، الذي يليق بالحياة الإنسانية المكرمة.

المبحث الأول:

العدالة أساس السعادة

يحتاج الإنسان الكائن العاقل المكرم إلى حياة كريمة فاضلة آمنة، فكل ما يحيا يبحث عن عالم أفضل¹، وما أنتجه من علوم وتقنيات وفنون وآداب وفلسفات يصب في هذه الغاية،

فقد كان السؤال المحوري في الفلسفة السياسية منذ أفلاطون إلى يومنا هو: ما هو النظام السياسي الأمثل للإنسانية الذي يحقق استقرارها وأمنها وسلامها وبالتالي سعاتها؟ يقول بوبر: "من بين أهم مشاكل البحث عن ظروف حياتية أفضل: عن حرية أكبر، عن عالم أفضل".²

إنّ النظام السياسي الأمثل طبعاً هو الذي يحقق العدالة بمختلف أشكالها، ويعطي لكل ذي حق حقه، فالديموقراطية تقوم أساساً على العدالة والمساواة، لأنها "ألياً تعني مساواة تامة في الفرص، أمام الجميع"³ وتمثل العدالة الاجتماعية علامة على سلامة المجتمع ورفقته وضمانه لتألف قلوب أفرادها. و"كانت النظرية الليبرالية تقوم من الناحية العملية على مبدأ أن نعيش وأن ندع الآخرين يعيشون حياتهم".⁴

إنّ العدالة غاية الغايات وهو مطلب كل المجتمعات على مر العصور وعلّة سعادتها واستقرارها لهذا أكد عليها الشرع الحنيف قال تعالى: "وإذا حكمت بين الناس ان تحكموا بالعدل". النساء الآية 58 وأكدت النزعة المثالية أنّ النظام السياسي يستند إلى العقل والحرية وغاياته تحقيق سعادة الأفراد والمجتمعات يقول بوبر: "يعتقد عصرنا في مبدأ منح كل فرد أفضل الفرص الممكنة للحياة"⁵، والدولة مؤسسات وأجهزة تنظم حياة المواطنين، وتبسط الأمن وتراعى حقوق الناس الأساسية وبالتالي سعادتهم، فهي "عند رسل على الرغم من جميع مساوئها ضرورة من ضرورات الحياة أملتأ غريزة التّجمع، كما أملتأ مواجهة تحديات الطبيعة وتحديات الانسان للإنسان"⁶، فهي تدفع العدوانية البشرية، وتحقق السعادة الإنسانية. وقد أكد أرسطو على "الصلة بين السياسية والأخلاق، واتفق مع استاذة أفلاطون أنّ الدولة قوة تربية علياً تهيء للفرد ظروف حياته الاجتماعية والروحية وتوفر له القدرة على الحياة"⁷

لقد أصبح الإنسان اليوم أكثر خوفاً من أخيه الإنسان يقول بوبر: "والخوف المتبادل من العدوانية، أدى إلى السباق نحو التسلح، وبالتالي الحروب، ربما إلى حرب وقائية كما أشار رصل نفسه-عدو الحرب والعدوانية- عندما تخوف -على حق- من أن تتمكن روسيا من القنبلة الهيدروجينية (ليس هناك من يريد القنبلة، لقد كان الخوف من أن يمتلكها هتلر هو الذي أدى إلى صنعها)".⁸

إذا كانت العدالة أساس سعادة المجتمعات وسمتها واستقرارها، فالظلم علّة شقاوتها وتعاستها وهلاكها، لهذا أكد أرسطو أنّ "العدالة تقتضي بأنّ الأفراد جميعاً متساوون أمام القانون"⁹. وقد بين ابن خلدون في مقدمته أنّ العدل أساس الملك والظلم مؤذن بخراب العمران. وكان كانط "يدعو إلى المساواة بين أفراد المجتمع، وإتاحة الفرص أمامهم للتطور بالمواهب

وامكانيات الكامنة فيهم. وهو يرفض كل ضروب الامتيازات الطائفية والعائلية والطبقية. ويعزو جميع أنواع الامتيازات الوراثية إلى أعمال الغزو والعنف التي ظفرت فيه الأسر بهذه الامتيازات في الماضي"¹⁰.

وعليه فالحياة السعيدة الكريمة تشترط نظاماً سياسياً ديمقراطياً عادلاً يحدد الحقوق والواجبات ويحمي الحريات ويراعي حقوق الإنسان ويدفع الناس بعضهم على بعض و" يكفل للإنسان حرياته الفردية الأساسية، ويحد من سلطة المؤسسات والأشخاص... والمواطنة ترفض كل أشكال الإكراه القصري ويضمن احترام حقوق الانسان وحريته في التعبير والاعتقاد"¹¹ وليست الغاية من الدولة -كما يرى سبينوزا في رسالة في اللاهوت والسياسة - تحويل البشر العقلاء إلى حيوانات أو آلات بل غايتها تحرير الأفراد من الخوف وتمكينهم من العيش في أمان، ولا يتم ذلك إلا بتوفير الحرية لكي يستطيع الأفراد استخدام عقولهم بكل حرية وإخضاع حياتهم لمنطق العقل، لا لمنطق الشهوة من غضب وحقد وخداع وبالتالي إلحاق الضرر بالغير. يقول سبينوزا: "لو استطاع الناس تنظيم شؤون حياتهم وفقاً لحظة مرسومة... لما وقعوا فريسة للخرافة"¹².

لقد عرف تاريخ الإنسان تطورات كبيرة جداً بفضل القوانين والديساتير والتظم التي سبها لنفسه كما نجده عند الكثير من الأمم الراقية و "في دولة منظمة كهذه يجد الفرد أمامه الفرص وسبل التطور مفتوحة له ولا يمكن أن تقدمها له حياة وحيدة مقفرة، إذ لا يستطيع أن يعيش وحده سوى الإله أو الوحش"¹³.

إنّ الدستور يحدّد مجال الحريات الشخصية التي يكون للفرد فيها الحق في التصرف ولكن دون أن يضرب بحرية الغير، و"تمثل نقطة البدء بالنسبة للإصلاح الاجتماعي والتربوي- حسبما يرى رسل- في ضرورة العمل على إضعاف دوافع الهدم والعدوان وتقوية دوافع الإبداع والبناء. وهذه المهمة كما يرى رسل يقع عبؤها على عاتق النظام الاجتماعي السائد وعلى طبيعة مناهج التربية والتعليم واتجاهات وسائل الدعاية والإعلام. أما بالنسبة للإصلاح السياسي عند رسل فيتمثل في ضرورة العمل على إضعاف الإطار الأناني المتمثل في فكرة الدولة القومية ذات السيادة المطلقة"¹⁴.

إنّ الناظر في المجتمعات المتطورة يدرك بلا شك الخطوات الجبارة التي قطعها هذه الأمم في سبيل تحقيق سعادتها ورفاهيتها يقول بوبر: "حضارتنا الغربية وحدها التي اعترفت على نحو واسع بالمطلب الأخلاقي للحرية الشخصية، بل وحققتة إلى حد كبير، وبمطلب المساواة أمام

القانون، ومطلب الحرية، ومطلب ألا تستخدم القوة إلا في أضيق الحدود"¹⁵. فالحضارة الإنسانية الرّاقية تهدف بالدرجة الأولى إلى "تحقيق ما هو إنساني ومعقول، كما تهدف إلى تحقيق المساواة والحرية"¹⁶. خاصة حرية التفكير والتعبير، باعتبارها جزءاً من الكينونة البشرية و"بدون التبادل الحر للرأي لن تكون ثمة حرية فكر حقيقية، وذلك لأننا نحتاج إلى الآخرين لكي نضع أفكارنا تحت الاختبار. وهو ما يعني أنّ حرية الفكر الحقيقية مستحيلة دون وجود قدر كاف من الحرية السياسية"¹⁷.

والمقارنة بين الأمم المتحضرة والمتخلفة تكشف ذلك بجلاء، حتى أصبح الفكر الغربي يعتبر النموذج الغربي النموذج الإنساني الأمثل يقول بور: "لنا أن نفتخر أن ليست لدينا فكرة واحدة بل الكثير من الأفكار... وهذا دليل على قوة الغرب الفائقة"¹⁸ الذي شهد تحولات كبرى بفضل فكره الحر والمستنير ف "الحرية السياسية شرطاً لانتفاع كل فرد منا بعقله، الانتفاع الكامل"¹⁹.

إنّ العدل سمة كل أمة متحضرة، فقد كان المجتمع الإسلامي في عز حضارته العالمية الأولى آمناً مستقراً عامراً بال عمران والإبداع يسوده العدل التسامح والحرية لأنّ "الإسلام أوّل دين دعا إلى الحرية، حتى في الاعتقاد، وإلى الكرامة والعدل"²⁰. تمتع فيه كل التّاس حتّى الأقليات بكل حقوقها لأنّ الخليفة كان يراعي شرع الله ويسهر على تطبيق العدل والحق، فاليهود "عاشوا في ظلها تحت حكم المسلمين (في اسبانيا) المتساهل والمتسامح... وهو ما فقدوه مع المسيحيين بعد ذلك وزحف ديوان التفتيش عليهم وخيرهم بين التعميد ومزاولة الشعائر المسيحية، وبين النفي وتجميد أموالهم"²¹.

عاشت الإنسانية في الحضارة الإسلامية تنعم بالحرية والأمان، وهو ما لم تعرفه من ذي قبل، وتمتعت فيها الأقليات بكل بحقوقها فقد «عاهد النبي (صلى الله عليه وسلم) المسيحيين في بلاد العرب، وأخذ على نفسه أن يحميهم وأن يكونوا أحرار في ممارسة شعائر دينهم نظير ضريبة هينة"²². وكرس المسلمون مبادئ إنسانية عالمية لا مثيل لها ف"العرب أوّل من آمن بما نطلق عليه حرية الفكر والتسامح الديني"²³.

لم تكن غاية الفتوحات الإسلامية السيطرة على الشعوب واستغلالها ونهب خيراتها كما فعلت أوروبا العلمانية في عهد الاستعمار والاستحار، بل كانت غايتها إرساء قواعد السّلام الشّامل للإنسانية بثقافتها وأعراقها وعقائدها، وعاشت الأقليات في ظل الإسلام تمارس شعائرها وتمتع بحقوقها في حرية ومساواة وكرامة وفقاً لدستور دولة المدينة، ولم تفرض تعاليم

الإسلام على غير المسلمين بل كان التصاري مستقلين بقوانينهم وقضائهم وقضائهم. وهذا ما يجعله أو يتجاهله الكثير ممن يزعم أنه عارفاً بالتاريخ الإسلامي.

واحترام الآخر قيمة أخلاقية وحضارية تؤكد عليها الفلسفة المعاصرة يقول بوبر: "المطلب الأخلاقي الهام لحماية الأقليات: مطلب أن تتمتع الأقليات اللغوية والدينية والثقافية في كل دولة بالحماية من هجمات الأغلبية، ومن بين هذه الأقليات بالطبع تلك الأقليات التي تختلف عن الأغلبية في لون الجلد أو لون العين أو لون الشعر"²⁴.

لقد كان البرنامج الأفلاطوني السياسي هو في الأساس "خطة لبناء دولة كاملة يكون فيها كل مواطن سعيدا بحق ... ويصر أفلاطون أن السعادة الحقة لا يمكن تحقيقها إلا بالعدل... واحدى الأطروحات الأساسية في الجمهورية هي أن العدالة فقط هي التي تؤدي إلى سعادة حقيقية"²⁵. فالدولة كما يرى لوك وبوبر ضرورية لحماية الحريات والحقوق وتحقيق العدل لذلك "تمثل الدولة عند بوبر الشخصية القانونية للحماية"²⁶.

إن النظام السياسي الأمثل يحتاج إلى الحاكم العادل الذي يحسن التدبير والتدبير، وقد أكد أفلاطون أن "الفلاسفة الحقيقيون وحدهم هم الذين يمكنهم وضع التصميم المثالي للمدينة، لأنهم وحدهم الذين يمكنهم أن يروا الأصل، وأن ينسخوه"²⁷. وإدارة البلاد لا يجب أن يتولاها الجهلة أو التجار بل يتولاها أهل الفكر والتأمل، أهل الحكمة والفضيلة "الذين لا يتوقون إلى المال ولا إلى النصر ولكن إلى المعرفة هؤلاء هم رجال الحكمة الذين يقفون جانبا لا يعرف العالم كيف يستفيد منهم، ولا يعرف قدرتهم وقيمتهم"²⁸ فهم القادرون على معالجة الأمراض الاجتماعية، لأن الغاية من السياسة عند أفلاطون هي العلاج "إنها المداوية أو المنقذة للجسد العليل للمجتمع"²⁹.

أما إذا أسند الأمر إلى غير أهله فلا ننتظر إلا الظلم وويلاته، و"يشكو أفلاطون من أننا في المسائل التافهة مثل صناعة الأحذية نعتمد على المختص في صناعة الأحذية لصنعها لنا، أما في السياسة فإننا نفترض أن كل شخص يقدر على إحراز الأصوات يستطيع إدارة المدينة. عندما نصاب بالمرض فإننا ندعو لمعالجتنا طبيا أخصائيا...وعندما تصاب الدولة كلها بالمرض ألا يجدر بنا أن نبحث عن خدمة وهدى أفضل الرجل فيها وأحكمهم وأعقلهم؟ وأن نعمل على إيجاد وسيلة لمنع عدم الكفاءة والمكر من الوصول في المناصب العامة، ونختار ونعد أفضل الرجال ليحكموا لمصلحة الجميع، هذه هي مشكلة الفلسفة السياسية"³⁰.

وهدف الخليفة عند ابن خلدون هو تحقيق المصالح الدنيوية والدينية، وسياسة الحاكم يجب أن تتسم بالجودة والصلاح، فالرعية لا يهتمها ذكاء الحاكم ولا علمه بل تحقيق مصالحها، ولا بد كذلك من الرفق والاعتدال لا البطش والقوة لتحقيق مصالح العباد والبلاد، فالناس-كما يرى بوبر- يحتاجون إلى دولة "تحمي حقوق الجميع"³¹. أي كلما كان نظام الدولة يراعي المصلحة العامة كان صالحاً وناجحاً مستقراً لأن "الإرادة الخاصة تسيّر بلا انقطاع معاكسة الإرادة العامة وتقوم الحكومة بمجهود مستمر ضد السيادة وكلما زاد هذا الجهد فسد النظام... وتتقبض الدولة عندما تسيّر من العدد الكبير إلى العدد القليل أي من الديمقراطية إلى الأرستقراطية ومن الأرستقراطية إلى الملكية"³².

وكل سلطة لا تستمد شرعيتها من شعبها سلطة جائرة مألها الزوال، يقول جون جاك روسو: "ويقوم مبدأ الحياة السياسية على السلطة ذات السيادة، وتُعد السلطة الاشتراعية قلب الدولة، وتعد السلطة التنفيذية دماغها الذي يوجب حركة جميع الأجزاء، وقد يصاب الدماغ بالفالج ويظل الفرد حيّاً، وقد يبقى الإنسان أبله ويعيش، ولكن القلب إذا ما انقطع عن القيام بوظائفه مات الحيوان. وبالسلطة الاشتراعية، لا بالقوانين، تبقى الدولة"³³.

إذا كان العدل أساس الملك كما يرى ابن خلدون وهو غاية الغايات فإنّ العرب أصبحوا أمة الظلم والجور، كالمدن الجاهلة الجائرة التي حذر منها الفارابي لأنّ "العدل قائم عندهم على قهر القوي للضعيف والقضاء عليه واستعباده... وإذا طُبق العدل عندهم في البيع والشراء ورد الودائع فإنّ الحافر عليه يكون الخوف لا حب العدالة"³⁴.

إن المجتمعات العربية الحالية تعيش واقعا مُرّاً ومُخزياً، لأنّ قيم العدالة أصبحت غائبة أو مهددة وتحول الإنسان إلى سلطة تجارية تباع وتشترى، وانتشرت الفتن والأمراض الاجتماعية وأصبحت بالوهن وصارت مثلاً للجور والفساد وديمقراطيتهم المستبدة تقوم على "تغلب حكامها القسري على البلدان يحكونها من دون تفويض من شعوبها"³⁵.

لقد قطع القائد الفاتح طارق بن زياد مضيق جبل طارق فاتحاً لشبه الجزيرة الإيبيرية ناقلًا إليها قيم الحق والخير والعدل، واليوم يقطعها "الحرق" هارباً من بلاده التي أصبحت بالنسبة إليه حجماً يفضل الموت خارجه بدل الحياة فيه أو من أجله، فمن المسؤول عن هذا الشاب ومن دفعه إلى هذا الانتحار؟

مهما كان الواقع السياسي العربي يكتظ بالشعارات البراقة والوعود الكاذبة حول الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان... إلخ، إلا أنّ هذه المفاهيم بقيت حبرا على ورق تغص بها

دفاتر الدساتير وطيات الكتب القانونية والسياسية والحقوقية، ويبقى الواقع أكثر مرارة وبؤساً. وديمقراطية العرب تعني "حملة انتخابية تتطلب مالا وفيراً ودعماً وجيشاً وعتاداً" عدة³⁶، ولا تنجح إلا الرذاعة والفساد. وإذا أردنا أن نلج المسار الديمقراطي جاءت ديمقراطيتنا مشوهة عرجاء وموجهة من الخارج وسرعان ما تنقلب إلى حكم استبدادي، ويحل الجنون بدل العقل وتغيب الحرية والتعددية الحقيقية، والاختلاف في عرفنا الساذج ضد مصلحة الأمة، إن "الطغاة يكرهون أبدا حرية الرأي، لأنهم يعيشون في ظلال الجدران التي تسجن وراءها كرامة البشر النفسية والفكرية"³⁷.

إن الحكم المطلق خطراً مطلقاً، فهو لا يملك سنداً شرعياً، ولا يخدم المصلحة العامة، فالطاغية "ملكٌ يملك بعنف ومن غير مراعاة للعدل والقوانين، والطاغية، في المعنى الدقيق، فرد ينتحل السلطان الملكي من غير أن يكون له حق في ذلك، وكان الأغارقة يطلقون كلمة الطاغية، بلا تفریق، على الصّلاح والطلاح من الأمراء الذين لم يكن سلطانهم شرعياً، وهكذا فإنّ الطّاغية والغاصب كلمتان مترادفتان تماماً... والطّاغية هو الذي يتدخل ضدّ القوانين في الحكم، والمستبد هو الذي يضع نفسه فوق القوانين نفسها، وهكذا قد لا يكون الطّاغية مستبداً، ولكن المستبد طّاغية على الدوام"³⁸.

كل من يقدمون مصالحهم قبل مصلحة أمتهم لا يصلحون للحكم، لأنهم حراساً لمصالحهم الذاتية وليسوا حراساً للدولة، و"يصبحون أعداء وطغاة بدلا من أن يكونوا حلفاء مع بقية المواطنين فيصبحون كارهين مكروهين ن متأمّرين ومعرضين للتأمر عليهم، ويتعرضون في حياتهم إلى رعب وإرهاب أعدائهم في الداخل أكثر من أعدائهم في الخارج ونكون ساعة الدمار لهم وللدولة أقرب إليهم من أيديهم"³⁹.

لا يمكن للطغاة تحقيق العدل والسلام والعيشة الهنيئة لمجتمعاتهم، لذلك يجب إزاحتهم من هرم السلطة، وهذا ما أكد عليه كارل بوبر في فلسفته السياسية فقد "غيّرت مجال التفكير في الفلسفة السياسية بتغيير المفاهيم الأساسية فيها حيث نقلتنا من السؤال الذي أعتبر هاتما في وقت من الأوقات وهو: من يجب أن يحكم؟ إلى السؤال الأهم والأعمق في مغزاه وهو: كيف يمكن أن ننظم مؤسساتنا السياسية بحيث لا يستطيع الحكم غير الأكفاء (الذين يجب بالطبع أن نحاول تجنبهم- ومع ذلك فقد يفوزوا بالحكم) أن يسببوا إلا أقل قدر من الضرر؟...إلتي اعتقد أنه مالم نغير السؤال بهذه الطريقة فلن نستطيع أبدا أن نأمل في التقدم نحو نظرية معقولة للدولة ومؤسساتها"⁴⁰. وعليه فقد صار من الضروري بناء مؤسسات ديمقراطية تمكنا من

التخلص من الحاكم السيء أو المستبد دون إراقة الدماء، فالحياة السياسية ليست حياة مثالية كما يتوهم الكثير و"العمل السياسي كله يكمن في اختيار أقل الأضرار"⁴¹.

لقد أكد بعض فلاسفة العقد الاجتماعي ومنهم جون لوك أنّ "البشر لا يتصفون بالكمال الأخلاقي لذلك فهم بحاجة إلى سلطة منظمة تفرض العقاب على المعتدي"⁴². أيّاً كان شأنه، والحكومة الصالحة كما وصفها صولون هي التي "توازن بين الاهتمامات المتضاربة للمواطنين"⁴³.

إذا كان التفكير التقدي ضروري لكل عمل علمي-كما يرى بوبر- لأنه "ليس هناك معرفة دون نقد عقلي"⁴⁴، كذلك لا يوجد حياة سعيدة فاضلة دون إصلاح وتجديد وتغيير فالعمل السياسي مثل العمل العلمي يحتاج إلى نقد ومراجعة مستمرة، والوظيفة الرئيسية للعقل "هي أن تجعل استخدام التقدير الواعي أمراً ممكناً، ومن ثم انتخاب النظريات دون قتل مؤيديها... نستطيع أن نتخلص من النظريات الخاطئة بالتقدير غير العنيف"⁴⁵. ومن جهة أخرى فإن كل حاكم يتوهم بأنه يعرف كل شيء أو أوتي العصمة فهو لا يصلح للحكم الراشد يقول بوبر "يرى سقراط وافلاطون أنّ رجل الدولة يجب أن يكون حكيماً. فهو يعني عند سقراط ضرورة أن يكون رجل الدولة مدركاً جملة الأكيد"⁴⁶.

كل الأنشطة البشرية موسومة بالتقص والتقصير والخطأ لذلك وجب "البحث عن الأخطاء، حتى يمكننا إصلاحها"⁴⁷، وعليه فإنه يجب التسلح بالعقلانية التقديرية أو أورجانون التقدير كما سماه بوبر لكي "نستطيع وعين أن نعثر على أخطائنا وأن نتخلص منها"⁴⁸، وبذلك تتجاوز الإنسانية ذاتها إلى ما هو أفضل وتتطور نحو عالم أفضل والأحسن على التوأم.

المبحث الثاني:

التربية والتعليم شرطان لكل حياة سعيدة

إذا كانت السياسة تعالج المجتمع العليل فإنّ الأخلاق تصنع الفرد الصالح الفضيل، وتُهيّؤه لتحمل مسؤولياته لهذا أكد أرسطو أنّ "الشّروط الرئيسي لتحقيق الفضيلة هو وجود المجتمع لأنّ الإنسان حيوان مدني، ولا يمكنه بلوغ الكمال وممارسة وظائفه وفضائله المختلفة ما لم يوجد في مجتمع وعلى الدولة أن تعنى بتربية الأفراد منذ الصّغر وبتشريع القوانين التي تبين للمواطن السلوك الفاضل وتجنّبه ما لا ينبغي فعله. فقوانين الدولة هي أداة لتربية أفرادها وهي تحقّق العدالة بما تنص عليه من حقوق وواجبات"⁴⁹.

لقد عملت المجتمعات المتحضرة على تنشئة أبنائها تنشئة سليمة وأصبح "لكل إنسان الحق أن يتربى ويتعلم حسب كفاءته واستعداداته ... وإتما كان له هذا الحق لأنّ التّربية وسيلة

من وسائل الحرية، ومن وسائل الحياة الراقية"⁵⁰، فالتربية والتعليم تصنع الإنسان الصالح المستنير الذي يبني المجتمع الفاضل السعيد، لهذا يعتبر أفلاطون التربية شرطاً ضرورياً للجمهورية المثالية، و"الغرض الأساسي لإعداد نظام للتربية منذ الولادة هو المحافظة والنهوض بالمدينة المثالية"⁵¹.

إنّ الفلسفة عند أفلاطون تصنع رجل الفكر والعمل، فهي "تثقيفاً فعلاً وحكمة مزوجة بأعمال الحياة ولا يعني بها خيلاً ميتافيزيقياً مغلقاً محبوساً غير عملي"⁵²، أي تعلّمه فن التدبير والتدبير، وأكد سقراط أنّ الفلسفة يجب أن تسوس أفعال البشر. و الهدف منها هو "بلوغ حس مشترك نقدي مستنير"⁵³، فالمعرفة الحقّة تجعل الانسان يدرك ذاته (وهي المفتاح الحقيقي للسعادة) ويدرك غيره والعالم من حوله، وهذا من شأنه أن يعزز روح التعاون والتعارف. وقد أكد حكماء اليونان أنّه "يوجد في هذا العالم ثلاثة أشياء جديرة بالاهتمام وهي العدالة والجمال والحقيقة"⁵⁴. فلا تستقيم حياة الإنسان وتستنير إلا بالمعرفة والحكمة قال تعالى: "ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً" سورة البقرة الآية 269

أولى خطوات بناء الفرد تبدأ في مرحلة التعليم و أكد الشيخ الإبراهيمي أنّ "كل عمل إصلاحى لا يبدأ من تغيير الانسان هو جهد يضع سدى ولا يُعطي ثمرته المرجوة منه"⁵⁵، لهذا عملت جمعية العلماء المسلمين الجزائرية -إبان الإستعمار - على تصحيح المفاهيم الدينية والموازين العقلية حتى تعد مواطنا مستنيراً، وشعباً واعياً، وأكدت أنّ الإسلام "يمجد العقل ويدعو التفكير". وهذه الثورة الفكرية هي حرّرت العقول التي صنعت الثورة التحريرية المباركة التي حرّرت البلاد من الاحتلال الظالم.

وإذا استنار العقل بنور العلوم والفنون والفلسفات والآداب "عندئذ تكون حياة العقل شرطاً للسعادة"⁵⁶، لقد كان شعار حركة التنوير التي رفع لواءها كانت "كن جريئاً في استعمال عقلك" وعزف التنوير بأنه "هو تحرير الانسان من حالة الوصاية التي يفرضها على نفسه، إذ يكون بهذه الوصاية غير قادر على استغلال فهمه الخاص دون توجيه من الآخر. وهذه الوصاية ليست ناجمة عن نقص في فهمه الخاص ولكنها ناجمة عن نقص في الشجاعة في استخدام أفكاره بنفسه خوفاً من المسؤولية"⁵⁷ والتنوير الحقيقي لن يتحقق إلا إذا تشبع الفرد بالعلوم والمعارف والفلسفات، يقول بوبر هو: "تحرير الذات من خلال المعرفة"⁵⁸ والمعارف العلمية طبعاً هي أرقى المعارف يقول بوبر: "المعرفة العلمية هي أهم وأفضل ما نملك من معارف"⁵⁹، وأكد الموسوعيون أنّ الهدف العام للبشرية هو الوصول إلى أكبر قدر ممكن من

التعاده التي يتحكم فيها العقل لهذا يجب تنوير الأذهان بالمعارف العلمية الجديدة وجعلها في متناول الجميع، ودفع العقول للتفكير المستمر. لأنّ "أساس الثقافة هو حسن التربية وصحة الإدراك والتقدير للأشياء وسلامة التفكير والاستنتاج العقلي واستقامة السلوك في معاملة الناس"⁶⁰.

إنّ الحقائق العلمية والفلسفية تصنع الذات الإنسانية الفاضلة، ف"العلم باب للأخلاق القويمة والدين الصحيح، به يشعر الإنسان بنفسه، وبه يدرك الحياة العالية، وبه ترقى شخصيته"⁶¹. ويصبح الانسان فرد معتمرا لا مدمرا، يساهم في بناء مجتمعه لأنه يأمر بالمعروف ويصنعه وينهى عن المنكر ويتجنبه وهذا ما أكدت عليه للمعتزلة في أصولها الخمسة "واعتبروه فرض عين لا فرض كفاية... وقالوا لا يصلح له إلا من علم المعروف ونهى عن المنكر وعلم كيف يرتب الأمر في إقامته وكيف يباشره"⁶².

إذا استنار العقل بأنوار العلوم حصل له الكمال، وعندها يصبح هذا العقل كما يقول سبينوزا: "أفضل شيء في وجودنا ويكون في كماله خيرا الأقصى"⁶³ ومن الأنفع للناس كما يرى سبينوزا أيضا أن يعيشوا طبقا لقوانين عقولهم ومعاييرهم اليقينية و"الذين يترصون بالفلسفة ورجالها يعلمون وبأن إظهار الحقيقة وتبديد الجهالة، سيؤدي إلى لإزالة الغشاوة عن قلوب الناس وعقولهم لأنّ الجهل هو وسيلتهم الوحيدة (يقصد الطغاة) للاحتفاظ بسلطتهم ونفوذهم"⁶⁴ فالمعارف خاصة العلمية منها تهذب النفوس وتنقلها من الحضيرة الحيوانية إلى عالم الإنسانية عالمها الحقيقي، وتحقق سعادتها يقول فؤاد زكريا: "المعرفة العلمية الدقيقة بأسباب الظواهر هي وحدها القادرة على أن تأخذ بيد البشرية في الطريق الموصل للسعادة والكمال"⁶⁵. فهي تعرفنا بذاتنا وبالعالم من حولنا وتعلمنا أيضا مقدار جهلنا "إنّ البحث العلمي هو أفضل ما لدينا من مناهج للحصول على المعلومات على أنفسنا وعن جهلنا، إنه يقودنا إلى التبصر الهام، القائل إننا قد نختلف كثيرا بالنسبة للتفاصيل الطفيفة فيما قد نعرف، لكننا جميعا متساوون في جهلنا المطلق"⁶⁶. وفي غياب العلوم والمعارف سوف يتخبط الإنسان في ظلمات الشقاوة والتعاسة ويعتقد أنه في أحسن الأحوال يقول بوبر: "إذا ما بدأنا بطمس الحقيقة، فلا بد أن ننتهي بتحطيم أكثر وحشية وعنف لكل ما هو إنساني. فلن يكون ثمة عودة إلى الدولة الطبيعية المنسجمة. وإذا استدردنا، فلا بد أن نقطع الطريق كله، أي لا بد أن نعود إلى الحياة الطبيعية البهيمية"⁶⁷. وفي غياب المعرفة الحقيقية أيضا سوف لا يبقى من الدين إلا مظهره الخارجي، أي "عبادة الأوثان (Adoration) لا عبادة الله (Adulation)"⁶⁸.

وعليه فالإنسان أفضل المخلوقات إذا استرشد بنور المعرفة، ولكنه أسوأها إذا افتقدها، يقول ول ديورانت: "إنّ الإنسان أفضل الحيوانات إذا تم اعداده وتعليمه وتدريبه جيّداً، ولكنه أسوأها إذا أغفل أمره وأهمّل شأنه. لأنّ الظلم أشدّ خطراً عندما يكون مسلحاً، وقد تسلح الانسان منذ ولادته بسلاح الذكاء ومؤهلات خلافة قد يستخدمها في أسوأ الغايات. وإذا لم تتوفر لديه الفضيلة يكون أشدّ من الحيوان وحشيّة ورجساً"⁶⁹.

كل ما تنعم به الإنسانية من خيرات وما بلغت من إنجازات كان بفضل العقل العلمي، وقد "بذل العلماء في تخصّصاتهم المتنوّعة جهوداً عظيمة لإعلاء هذه الظاهرة والإفادة منها في الحياة العلميّة والعملية، حتّى أصبح العلم يساهم مساهمة فعّالة في البتّاء المعرفي للإنسان، وتكوين عقله، وتغيير واقعه"⁷⁰، فهو يوسع عقله وينظم حياته وبالتالي تحقيق رفاهيته وأمنه واستقراره وقد أكد رسل أن "الحضارة تتضمن البحث عن المعرفة وتهذيب العلاقات وهو ما يؤدي فيما بعد لبلوغ السعادة"⁷¹. أما الجهل والوهم فهي علّة كل الشرور قاطبة، ويصبح الفرد ضحية للتطرف والغلو ويعتقد أنه يحسن صنعا، ولا عجب أن "يقوم الإيمان [عند البعض] على الكراهية والتعصب، فبعض المؤمنين هم أكثر الناس قدرة على الكراهية، وأشدّهم تعصبا حتّى ليعرف قوة الإيمان بقوة غضبهم وحقدهم على البشر... والخرافة والوهم والعجز هي من أسباب الوقوع في التقديس"⁷²، وعندها يصبح الانسان أدنى حتى من البهائم. وأكد جون ديوي أنّه "لن تنفعنا فضائل العالم كلها إذا كان ينقصنا الذكاء والعقل وليس الجهل نعمة وسعادة، بل فقداناً للشعور واستعباداً ورقاً"⁷³.

كلما تشبعت العقول بالمعارف والعلوم سمت النفوس والمجمعات على حد سواء، وعرف الإنسان كيف يتعارف ويتعامل مع الآخر المغاير، لأنّ الكثير من الأشياء تمنعنا من أن "نتعلم من يختلفون عتّا في الرأى، وهو يؤدي إلى تدمير وحدة البشرية، الوحدة المبنية على عقلانيتنا المشتركة"⁷⁴ وقد ميّز سبينوزا بين أمم قائمة على العقل المستنير وأخرى قائمة على الخرافة يقول: "الخرافة أفضل الوسائل لتسيير العامة...وهي أساس النظام الملكي، باعتباره النظام التقليدي الذي يقوم على حكم الفرد المطلق الذي يبغى خداع الناس، وإرهابهم باسم الدين من أجل السيطرة عليهم واستعبادهم، ووضع القيود على الفكر والعقيدة، في حين أنّ العقل لا يسود إلّا في النظام الجمهوري الذي يكون فيه المواطن حرّاً في فكره وعقيدته"⁷⁵.

إنّ الفلسفة تعلم الإنسان فن التفكير العميق والسّليم الذي هو جوهر الإنسان وحقيقته، وهي فن المحاورّة بين الأنا للآخر للاقتراب من الحقيقة، أي أنّ "فكرة التكامل

العقلي، وفكرة اللاعصمة من الخطأ، كلها تقودنا إلى موقف نقد ذاتي وإلى التسامح⁷⁶ فالفلسفة مُساءلة ونقد لكل منتجات العقل المختلفة، وهذا "الجدل النقدي هو أساس الفكر الحر للفرد"⁷⁷. ولن يتحرر الإنسان تحرراً حقيقياً من سلطة الجهل والوهم واللامعقول إلا بممارسة النقد الدقيق وامتلاك المعرفة، فالحرية لا تكون إلا "من خلال المعرفة"⁷⁸، وخير مثال على ذلك الحوار التهكمي السقراطي الذي ينقل الإنسان من حالة اليقين (الذي يُعمي البصيرة) إلى حالة الشك (الذي يوقظها). يرى بوبر أنّ "سقراط نصير للديموقراطية لأنه أراد أن يعلم المواطنين أنّ طريقة تحسين الحياة السياسية هي النقد الذاتي"⁷⁹، باعتباره أفضل أداة للكشف عن الخطأ وتسديد العقل وإصلاح الإنسان و"روح التعليم السقراطي كان يهدف لتحسين المستوى الأخلاقي لكل المواطنين وقادتهم عن طريق التعليم والتثوير"⁸⁰.

لا شيء يعلو فوق آلة النقد والتمحيص لأنه "ليس ثمة قضية أيّاً كان نوعها ينبغي أن تظل بمنأى عن النقد"⁸¹. ولا نقصد بالنقد ازدراء الآخر والتقليل من شأنه وإقصاءه بل "يجب أن ندرك أنّ النقد لا يمثل إهانة أو احتقاراً ولكنه واحد من أعظم علامات الاحترام التي يظهرها عقل لعقل آخر"⁸². بل أكثر من ذلك، إنّ العقول تساهم في تطوير وإثراء بعضها البعض من خلال النقد والتقد المتبادل، ف"العقل مثل العلم ينجو بطريقة النقد المتبادل والطريقة الوحيدة لنموه هي تطوير المؤسسات التي تصون حرية النقد. وإنّ حماية أنفسنا من العنف السياسي والاجتماعي تتطلب تطوير المؤسسات المحلية والدولية لحماية حرية الرأي والاعتقاد"⁸³.

إنّ أعظم مشروع قامت بها الإنسانية عبر تاريخها الطويل هي مشروع التربية والتعليم وهو التثوير الحقيقي الذي "يعيد الاعتبار للإنسان بعد أن تم استلابه لقرون طويلة، إنه يعيد له قيمته ويحقق له إنسانيته، إنه شعار الحرية، في مستواها الأساسي، حرية الفكر وحرية العقل اذ لا يمكن الحديث عن أي مستوى من الحرية دون تحقق هذا المستوى"⁸⁴. لهذا حمل كانط الدولة مسؤولية تربية وتعليم أبنائها وأكد "أنّ مهمّة الحكومة هي الأخذ بيد الفرد ومساعدته على النمو والتطور، وليس استخدامه وانتهاك حقوقه واستغلاله"⁸⁵ والحكومات التي تستغل أفرادها كوسيلة لتحقيق مآربها فتلك جريمة ضد الكرامة الإنسانية.

إنّ العيش بسلام يحتاج إلى إنسان مستنير العقل حرّ الإرادة "ليس في حاجة إلى اكراه لأنه يستطيع أن يحكم نفسه وان يقبل بحرية حكم القانون...كل انسان حر، ليس لأنه قد ولد حراً، بل لأنه قد ولد وعلى كفيه عبء القرار الحر"⁸⁶. وهو الكائن الوحيد الذي يحمل هذه الخاصية والكثير من الخصال السامية، يقول بوبر: "يوجد في الإنسان ما هو أكثر، ومضة إلهية،

وعقل وحب للحقيقة، وفضل، وإنسانية، وحب للجمال، والصّلاح. هذه هي التي تجعل حياة الإنسان جديرة بأن تعاش"⁸⁷

إذا كان العقل بحاجة للعلم، فهو بحاجة إلى الشرع حتى يكون أكثر هداية ورشداً، فلقد أكد أبو حامد الغزالي أنّ العقل ميزان الله في الأرض، وبين الترابط بين العقل والشرع وافتقار أحدهما إلى الآخر يقول: "اعلم أنّ العقل لن يهتدى إلا بالشرع، والشرع لم يتبين إلا بالعقل، فالعقل كالأش، والشرع كالبناء، ولن يغنى أش ما لم يكن بناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن أش... فالشرع عقل من خارج، والعقل شرع من داخل، و"لكون العقل شرعاً من داخل، قال تعالى في صفة العقل: "فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لمخلوق الله، ذلك الدين القيم"، فسمى العقل ديناً و لكونهما متحدتين، قال: "نور على نور" أي ونور الشرع ثم قال: "يهدى الله لنوره من يشاء" فجعلهما نوراً واحداً فالشرع إذا فقد العقل، لم يظهر به شيء وصار ضائعاً ضياع الشعاع عند فقد نور البصر والعقل إذا فقد الشرع، عجز عن أكثر الأمور، عجز العين عند فقد النور"⁸⁸.

إنّ التّنشئة الاجتماعية الصحيحة تصنع المواطن الإيجابي الذي يدرك ذاته وغيره والعالم من حوله ويدرك حقيقة الحياة والغاية منها وتصحّ المفاهيم والموازين، وبالتالي تحقّق سعادته وطمأنينته أما الفكر الخاطئ فلا ينتج إلا التعاسة والشقاء، فمن يعرف الخير يطلبه ومن يعرف الشر ينفر منه ف "العلم فضيلة والجهل رذيلة" والفلسفة الحقيقية هي التي تساهم في سعادة الإنسان والسمو به نحو أفضل قال الكندي: "هي التشبه بأفعال الله تعالى، بقدر طاقة الإنسان، أرادوا (الفلاسفة) أن يكونوا الإنسان كامل الفضيلة... وهذا القول شريف النهاية بعيد الغور"⁸⁹

لن تستقيم حياة الإنسان إلّا إذا التزم بالقيم الأخلاقية والدينية والإنسانية التي تنظم سلوكه وتوجهه نحو الخير، فإذا امتثل الإنسان للقيم الأخلاقية والدينية استقامت حياته وإذا صلّح الفرد صلحت الجماعة لأنّ الأخلاق هي منظومة قيم جالبة للخير وطاردة للشر، وتنظّم السلوك الإنساني. "إنّ الفضيلة فن يمكن كسبه بالمران والعادة. إننا لا نعمل الصواب لأنّ لدينا فضيلة، ولكنّ الفضيلة موجودة فينا لأننا عملنا الصواب. هذه الفضائل تتشكل في الإنسان بعمله لها. إننا عبارة عما نفعل دائماً"⁹⁰.

إنّ الإنسان عندما يصغي إلى عقله ويحترم إنسانيته -كما يرى كانط- إمّا يصغي على وجه التحديد إلى نداء الواجب ويحترمه فيكون بذلك مسؤولاً أمام نفسه قبل أن يكون مسؤولاً

أمام الناس والواجب ليس إكراها نكون بمقتضاه مجبرين بالخضوع له. إنّه إلزام لا بد من طاعته ولكنه يتركنا أحرار ما دمنا نحن الذين شرعناه بالإرادة الحرة والإرادة الخاضعة للقوانين الأخلاقية شيء واحد. وأسمى الفضائل ان يحترم الإنسان أخاه الإنسان وأن يمد له يد العون يقول بوبر: "الجوهر الأخلاقي الصحيح الموجه فهو كما وضعه شوبنهاور في صيغة بسيطة "لا تُسيء إلى أحدٍ، وعاون الجميع بقدر ما تستطيع"⁹¹.

وعليه فإنّ أفضل المجتمعات هي التي تعلم أفرادها معنى الحق والخير والجمال باعتبارها غاية في ذاتها، وكان مل يعتبر أنّ "مقياس الحكومة الصالحة هو الوصول إلى الدرجة التي تهدف إلى زيادة مجموع المؤهلات الصالحة للمحكومين بشكل فردي أو جماعي كذلك فالعنصر الأكثر أهمية للحكومة الديمقراطية هي الفضيلة وذكاء البشر الذين يشكلون المجتمع في ظل هذه الحكومة"⁹². فالحياة السعيدة الهنية تحتاج إلى إنسان فاضل مستنير يدرك معنى الحياة التي لا تُقدر بثمن، أي إلى "رجال ونساء متحضرين، من أفراد يرغبون في أن يحيا حياة طيبة وحياة ممتدة"⁹³، والمجتمع الفاضل السعيد يجب أن يمتثل إلى الروح الأخلاقية الكانطية التي يمكن أن نجعلها في "كن حرّاً ولا تخف، واحترم حرية الغير"⁹⁴.

المبحث الثالث:

التّخبة المستنيرة تصنع الأُمّة الفاضلة

المثقف هو ضمير الأُمّة الحيّ، الذي يعبر عن آلامها وآمالها، وحامل مشعل التّور في سبيل بلوغ نظام سياسي واجتماعي أكثر إنسانية وعقلانية و" مهمّة المفكر الحالية هي إعطاء أكبر قدر من التّنوير لأكبر قدر من التّاس"⁹⁵، فهو يتحمل المسؤولية الفكرية التي تتأسس عليها أي نهضة وحضارة ومدنية يقول بوبر: "على كاهل كل مثقف تقع مسؤولية خاصّة جدّاً"⁹⁶.

يشعر المفكر الرّسالي بالمسؤولية الكاملة اتّجاه مجتمعه والاستعداد للتّضحية في سبيله، فلقد "قضى سقراط فترة كبيرة من حياته تحت ظل الحكم الديمقراطي. ولأنّه ديمقراطي جيّد وجد أنّ واجبه يفرض عليه التّعرض لعجز وعدم أهلية بعض القادة الديمقراطيّين في عصره"⁹⁷. فالتّخبة أو الخاصّة هي التي ترسم المنهاج الصّحيح الذي يغيّر حال الأُمّة إلى أفضل حال، فهي "تلك المجموعة من التّاس التي تتميز عن غيرها بأنّها تجعل من التّفكير في الواقع والمصلحة العامّة عموماً أحد هومها الرّئيسية وتشارك في الصّراع الاجتماعي والسياسي من أجل دفع هذا الواقع حسب الرّؤى التي تراها مشاركة وقد تتخذ أشكالاً مختلفة سياسية وفكرية"⁹⁸. ولو اهتمت البشرية بنظريات علمائها وفلاسفتها لكانت أفضل بكثير مما هي عليه، وكانت أكثر رفاهية

وسعادة فالعلماء ورثة الأنبياء لأن "مهمة الأنبياء هي الإصلاح الذي حل بالإنسان، ونظرا لكون الله قد ختم النبوة وأنهى الرسالة فإن مهمة الإصلاح انتقلت من الرسل والأنبياء إلى العلماء"⁹⁹. فالألم القوية تعبير عن فكر صحيح مستنير والألم المتخلفة تعبير عن فكر خاطئ فاسد، إن "المجتمع أو الشعب أو الدولة -تماما كالفرد- يقاس تقدمه وتخلفه بالفكرة، أو بما لديه من مبدأ فلسفي، وتقدم الأمة يعني سمو فكرها، أما تدهور الدولة وانحيار المجتمع فهو دليل على فساد الفكر الذي يقوم عليه"¹⁰⁰. فالعوالم المتحضرة تسيروها التخبه المفكرة العارفة المستنيرة، وقديما أكد أفلاطون أنه يجب أن "تتولى المعرفة والعلم والفلسفة الحكم في البلاد. إن الشعب بغير هدى المعرفة، جمهور بغير نظام وهو بذلك كالرغبات بغير نظام أو القطيع بغير راع. إن الشعب يحتاج إلى هدى الفلاسفة، كما تحتاج الرغبات إلى ضوء المعرفة، والحراب يحل بالبلد عندما يصبح التاجر الذي يملأ قلبه حب الثروة حاكماً، أو يستخدم القائد العسكري جيشه ويقيم حكومة عسكرية دكتاتورية، إن أفضل مكان لرجال الإنتاج هو الميدان الاقتصادي. والمحارب أو العسكري يبرز ويلمع في الميدان والمعرفة...ولا يصلح لهداية الشعب سوى ملك فيلسوف. سوف لا تنجو المدن والجنس البشري من الشرور والفساد والمرض إلا إذا أصبح الفلاسفة ملوكاً أو الملوك فلاسفة"¹⁰¹، وهذا جوهر الفلسفة الأفلاطونية، لقد كان سقراط وأفلاطون نموذجين للمفكر الذي يتحمل مسؤوليته كاملة أمام أمته ويستجيب لتحديات عصره ويلبي النداء وعندما أكد أن رجل الدولة يجب أن يكون حكيماً، فكان يعني بذلك "أن يكون رجل الدولة مدركاً لجهله... وكان (سقراط) ناقداً لأثينا ومؤسساتها الديمقراطية، لكن انتقاده للديموقراطية ومؤسساتها لا يعني أنه كان عدواً لها، بل إن التقدير السقراطي للديموقراطية كان نقداً ديموقراطياً"¹⁰². وهؤلاء هم صنّاع الثقافة الإغريقية العظيمة، وهي كما يقول كارل بوبر: "التي قدمت على الأرجح أهم الإسهامات في حضارتنا الغربية الحالية أعني فكرة الحرية، اكتشاف الديمقراطية، والموقف العقلي النقدي"¹⁰³.

إن المفكر هو العقل الثاقب الذي يكشف عن أخطاء مجتمعه ويقدم الحلول وهذا هو شأن كل عظيم عبر التاريخ، وأكد سبينوزا أن "الأمانة العلمية، والبحث العلمي والموقف الشريف، أجدى على الدولة وعلى سلامتها وأمنها من التفاق الفكري، والتشويه الفكري والتملق للسلطة والسعي لها"¹⁰⁴. ولا بد أن يتمتع المثقف بالاستقلالية الفكرية والعقلية النقدية الجريئة. لأن "حرية الفكر لا تمثل خطراً على سمة الدولة"¹⁰⁵. بل رحمة ومؤشراً على سلامتها، لقد وقف رسل "بجراً ضد الساسة الأمريكية إبان حرب فيتنام وعقد محكمة مع غيره من الأدباء

والفلاسفة والمتقنين لإدانة السياسة الأمريكية بوصفهم مجرمي حرب. كما رفض رسل تماماً فكرة الحروب ونادى بنزع أسلحة الدمار الشامل¹⁰⁶ أما مؤسس الفلسفة النقدية إمانويل كانط فقد كان نافداً للسياسات الأوروبية الاستعمارية، وأكد أن "النزعة العسكرية سببها أوروبا في أمريكا وإفريقيا وآسيا وما ينجم عنها منت صراع وقتال بين اللصوص على الاستلاب والغنائم الجديدة التي تقع في أيديهم... فقد اعتقدت الدول الأوروبية الاستعمارية البلاد التي اكتشفها كأمريكا وبلاد الزنوج، وجزر التوابل ورأس الرجاء الصالح وغيرها بلاد مباحة لا تخص أحداً. ولم تقم وزنا لسكانها الأصليين. وقد وقع هذا كله من أم ملأت العالم ضحيجاً ولغطا بتقواها وورعها. وفي الوقت الذي تسقي فيه هذه الأم الظلم تعتبر نفسها صفوة الدين وشعب الله المختار"¹⁰⁷.

إنّ فلاسفة الأمة هم الذين يضعون اللبّات الأولى لنهضتها وحضارتها و"الفكر الفلسفي يمثل نقطة البدء في أي حضارة فلا حضارة بلا رؤية جديدة ومنهج جديد، وصنعوا ذلك هم الفلاسفة. وإذا كانت الفلسفة تضع الحجر الأول في بناء الحضارة الجديدة فإنّ الجمود والتحجر الفكري يكون بمثابة المسار الأول في نعش الحضارة"¹⁰⁸. والحضارة الحديثة قامت على الفلسفة الحديثة التي رفع رايتها كل من ديكارت وبيكون وغيرهم و"إذا كانت الديمقراطية الأمريكية تقوم على فلسفة "لوك" السياسية، فإنّ المجتمع الشيوعي يقوم على فسفة كال ماركس وإنجلز"¹⁰⁹.

إنّ المفكر مطالب بالكشف عن أمراض الجسم الاجتماعي العليل، وتشخيص علله وأزماته كي يتم تجاوزها يقول كارل بوبر: "إتني مقتنع أنّنا -نحن المتقنين- المسؤولون عن كل فساد تقريباً. لأننا لم نجاهد كما ينبغي لبلوغ الأمانة الفكرية"¹¹⁰. وكلما زادت الصفوة المتعلمة علماً وحكمة وبصيرة ازدادت الإبداعات العلمية والفلسفية والأدبية والفنية... إلخ، زادت مجتمعاتها رقيّاً ورفاهية. يقول بوبر وهو يصف حضارته الغربية ويفتخر بها: "هي حضارة أكثر نقدا لذاتها وأكثر ميلاً نحو الإصلاح من أي حضارة أخرى في العالم... هي الأكثر تحرراً، هي الأكثر عدلاً، هي الأكثر إنسانية هي الأفضل من بين كل ما عرف من حضارات عبر تاريخ البشرية كلّ، إنّها الأفضل لأنّها الأكثر قابلية للتحسين"¹¹¹.

أي قائمة على العقلانية النقدية الأساس الصلب لكل بناء ديمقراطي، وقد ركّز فلاسفة التنوير على حرية التفكير والتعبير القائمة على التفكير النقدي و "المهمة الرئيسية للفلسفة هي تحليل الواقع الاجتماعي، وتشخيص مرضه ومشكلاته وفحص الجوانب السلبية للثقافة والعلاقات الاجتماعية"¹¹².

ولنا في تاريخنا الجزائري المجيد نماذج كثيرة للمفكرين الذين حملوا هم الأمة وأبرزهم الشيخ الإبراهيمي الذي "لم يكن شخصية حيادية سالبة وليس شيخاً بالمفهوم المتداوب يبتدع طريقة لمريدين قاصرين يستمر معهم ثقل الوصاية، بل هو مثقف نقدي يحمل هم أمة حاجة إلى من يضيء لها نورا داخل عقلها، ويحررها من جهلها وينزع عنها ثوبها الدوغائي من خلال عمل نقدي جاد تمارسه الذات على ذاتها، ولن يكون هذا ممكناً إلا بتغيير أفق الرؤية ذاته".¹¹³ لقد كانت الثورة الفكرية التي أشعل شمعها الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ الإبراهيمي أساس الثورة التحريرية المباركة التي أعادت للجزائر حريتها المسلوبة لأكثر من قرن وثلثين سنة من الاستعمار. لقد كان الإبراهيمي "من القلائل الذين شرّحوا المجتمعات العربية والإسلامية، وخبروا عللها، ولم يكتفوا بتشخيصها فقط والتنظير لها، بل بادروا إلى الفعل، وأعدوا للأمة مشاريع إحياء، حاولوا من خلالها بعث روح جديدة فيها، بغية الخروج من التخلف والجهل".¹¹⁴

أما إذا تخلى المفكر عن رسالته ولم يشخص أمراض مجتمعه كان خائناً يقسم ظهر أمته. ومن الجرائم الكبرى التي يقترفها العلماء في حق مجتمعاتهم هي إخفاء الأخطاء لأن "إخفاء الأخطاء هو الخطيئة الفكرية الكبرى... وعلى هذا فإن الحفاظ على موقف التقذ الذاتي والكمال الشخصي يصبح واجبا".¹¹⁵ وقد كان التطرف الديني في أوروبا القروسطية الذي نظر له رجال الدين الفاسدين سبباً لكل ويلاتهم، وسبينوزا كانت تأخذه الدهشة عندما كان "يرى بعض الناس الذين يفاخرون بتعاليم الديانة المسيحية، وخاصة بالحب والتعاطف والسلام والاعتدال والإحسان إلى جميع الناس. يقاتل بعضهم بعضاً بمثل هذه الكراهية المريرة التي أصبحت مقياساً لعقيدتهم بدلاً من الفضائل التي يدعون بها ويعلنون عليها... وشخصية المسيح الثبيلة لو تخلصت من حواجز العقيدة التي تؤدي إلى الانقسام والنزاع فقط، تستطيع أن تجتذب جميع الناس حولها وقد يجد العالم الذي تمزقه الحروب الانتحارية، حروب السيف والقلم فيها وحدة في الدين وإمكانية للأخوة آخر الأمر".¹¹⁶

لا يمكن لمفكر مستنير أن يحارب العنف بالعنف ولا التطرف بالتطرف الذي يشعل الواقع ويجعله أكثر حجماً، بل يمكن أن "نحارب الأفكار الخاطئة بأفكار صحيحة... وليس ثمة من سبب يدعونا للتخلي عن الأمل والكفاح والعمل من أجل عالم أفضل".¹¹⁷ فالمثقف وحده - وليس السياسي - من يرسم لأمة أهدافاً خيرة وإنسانية يقول كارل بوبر: "مصيرنا سيتوقف إلى حد كبير علينا نحن".¹¹⁸ لقد نجح المتكلمة - أصحاب العقول الذكية الموهوبة - في الدفاع عن الدين

والعقيدة بالعقل والبرهان و"أحسنوا الذب عن السنة والتضال عن العقيدة"¹¹⁹، واستطاعوا أن يغيروا الكفة لصالحهم ويدخلوا أعداء الدين إلى الإسلام يقول حسين مؤنس: "إن أبا الهذيل العلّاف امتلأت حياته بالمناظرة والجدل مع الزنادقة والشكك والمجوس والثنوية وأنه أسلم على يده أكثر من ثلاثة آلاف رجل"¹²⁰ وفي كتابه "الرد الجميل للإلهية عيسى بصرى الإنجيل" وهي من أبرز رسائل أبي حامد الغزالي ردّ فيها على من ادعى ألوهية عيسى عليه السلام، ويبين خلالها بطلان الاعتقاد بذلك ورد عليهم بكثير من نصوص الأناجيل نفسها. وقد استشرع الشافعي خطر الصراع بين مدرستي الرأي والحديث على الأمة، كما استشرع اضطراب الساحة الفقهية وأخطار ذلك على الأمة، فابتدع علماً جديداً هو "علم أصول الفقه" من أجل تنظيم الساحة الفقهية، وضبط أصول الاجتهاد وتقنين القياس.

إنّ مصير الإنسانية جمعاء وسعاتها متوقف على علمائها وفلاسفتها فإمّا أن يقودونها إلى برّ الأمان أو يجرونها إلى الهاوية، وأكد جون ديوي أنّ "العقل وحده هو الذي يمكننا من الاشتراك في تكوين مصيرنا. وحرية الإرادة هي استتضاء السلوك بالمعرفة... والطريقة الوحيدة التي نتمنى من رؤية الموقف بطريقة ثابتة وشاملة هو أن نضع في أذهاننا أن المشكلة كلها تكمن في تطور العلم وتطبيقه على الحياة وأن تعود الأخلاق والفلسفة إلى جها الأول، حب الحكمة مرضعة الخير"¹²¹. وقد دعا كانط إلى السلام الدائم والشامل وأكد أنّ حركة التاريخ والتطور الحقيقي هو في تضيق دائرة العنف وتوسيع دائرة التسامح، وذلك من خلال تحويل الموارد المالية التي تنفق للاستعداد للحرب إلى تثقيف الشعب وتعليمه و"طالب بعصبة الأمم، أو اتحاد فيدرالي من دول، تكون مهمته في النهاية هي المناداة بالسلام وصونه- السلام الأبدي على الأقل"¹²²

إنّ الدّين العميق والفلسفة الحقيقية والفن الرّاقّي يعلمنا الحق والخير والجمال وبالتالي السعادة، فتهوفن مثلاً "لم يكن يعرف سوى حب إخوته في البشرية، وتكاد تنتهي أعماله جميعاً إما بروح السلوان- كما في ميسّا سوليميس، أو بالبهجة العارمة، كما في السنفونيات و فيديليو"¹²³

أما واقعنا العربي التعيس انتصر فيه السياسي على المفكر، والعامة على الخاصة، وأصبح السياسي فوق الفكر والقانون... فزادت إخفاقاتنا وانتكاساتنا، لأنّ الجهل معول يهدم بيوت العز والكرم وهو "في حقيقته وثنية، لأنه لا يغرس أفكاراً بل ينصب أصناماً، وهذا هو

شأن الجاهلية، فلم يكن من باب الصدفة المحضة أن تكون الشعوب البدائية وثنية ساذجة... ومن سنن الله في خلقه أنه عندما تغرب الفكرة يزرع الصم" ¹²⁴.

أصبح الشارع الهاج المائج هو الذي يحرك السلطة ويحدد سياستها، و"كلما أقم الجمهور في مسائل الفكر والسياسة كلما كانت البلاد تعيش أسوأ مراحلها التاريخية" ¹²⁵. لقد مات المثقف العربي، وصار المثقف بدون مواقف وصرنا رعية فاسدة لا تهتدي بأنوار العقل والحكمة، بل بظلمات الحماسة والجهالة، وإذا غاب الفكر المستنير عن السياسة والحياة هلكت الأمة لا محال، و"الويل للأمم التي يتقدم فيها أغنيائها بالوسائط المفتعلة من مال وجاه، ويتأخر فيها أذكياؤها المضيعون... البلد الذي يحارب فيه الذكاء لا تقوم له قائمة، ولا تعلو له راية، فإن حق الذكاء ان يشجع ويدفع إلى الأمام، لا أن يخذل ويوارى بريقه" ¹²⁶، والخطابات السياسية العربية تكشف عن مدى سذاجتنا وجهلنا وانحطاطنا، فالتطرف زاد حدة وأخذ أشكالاً مختلفة، و"الأيديولوجيات المتطرفة سواء العلمانية والإسلامية خطراً على الوطن" ¹²⁷، فالصراع العلماني الإيماني العقيم أصبح يشكل هدراً لطاقت الأمة المتمالكة. وقد يشعل حرباً إقليمية أو عالمية. و"ظلت العلاقة تدور في فلك الصراع المرير، نراه جلياً في تكفير الغرب وتجريمه من قبل المجتمع الإسلامي من جهة، وتعدى الغرب على الرموز الدينية الإسلامية من جهة أخرى، وهذا التجاذب بين الثقافتين خطير للغاية، نرجو أن يُحل بفطنة بالغة وضرورة تهدئة شاملة، فإذا كانت الحرب العالمية حرباً سياسية بامتياز، فإن الحرب العالمية الثالثة قد تكون دينية بامتياز" ¹²⁸. فالتعصب والتطرف والغلو داء خبيث لا خير فيه وكما عانت الأمم من هذا الداء لأن "التعصب إثم دائماً إنه يتعارض مع مجتمع التعددية. إن من واجبنا أن نعارضه في شتى صورته" ¹²⁹.

إذا كانت العقائد توجه السلوك فإن الواقع العربي عانى كثيراً من العقائد المتطرفة، و"سيادة الانفعالات وغياب العقل هو أحد مظاهر التخلف" ¹³⁰. إن العقل العربي ليس قاصراً ومقلداً فحسب، بل عقلاً مدمراً لكل ما هو حضاري، لأن "العقل التدميري ليس فقط ذلك العقل المدنس ضمن حنايا الفتوى والتكفير بل هو كذلك المدنس ضمن مقولات الحرية والإباحية" ¹³¹. وهذا لن يحقق الأمن لأمتنا ولا السعادة لأفرادها.

لهذا صار نقد العقل العربي لذاته مطلباً أولياً لتأسيس قواعد النهضة وإعادة بناء الذات العربية بناء صحيحاً. فنحن بحاجة إلى ثورة نقدية تغير طريقة تفكيرنا وتديّرنا تديّرنا، فالتطور الحقيقي ثورة على الفكر القديم العقيم الذي لم يعد يستجيب للتحديات ف"الإنسان العربي

مطالب اليوم باستيعاب هذه التحولات التاريخية الكبرى ليدخل التاريخ مرة ثانية وفق أسئلة وظيفية جديدة تهدف إلى توطين المرجعيات العقلانية والعلمية في ثقافتنا المعاصرة"¹³².
كما أننا نأمل ونؤمن بقدرة العقل الإنساني على تجاوز كل أزماته وبناء حياة أفضل، فالحياة الفاضلة تحتاج إلى فن النقد وفن التدبر والتدبير. يقول بوبر: "مهمة كل مفكر أن يدرك الموقف المميز الذي يحتله، عن من واجبه أن يكتب بأسط وأوضح ما يستطيع، بأفضل صورة متحضرة ممكنة، لا يجب أبداً أن ينسى تلك المشاكل الكبرى التي تكتنف البشر، والتي تحتاج إلى فكر جديد وجسور وحليم...إتني أعتقد أنّ المهمة الرئيسية للفلسفة هي التأمل التقدي في الكون وفي موقفنا من الكون، بما في ذلك قدرتنا على المعرفة وقدرتنا على الخير والشر"¹³³ ولن يتحقق السلام إلا بتضحيات جسام يبذلها كل الأناس، إننا "نرغب بل ولا بد حقاً أن نفعل كل ما بوسعنا لتجنب الصراعات أو على الأقل الحد منها... يحتاج المجتمع البشري للسلام، لكن يحتاج إلى صراعات فكرية جادة: قيم وأفكار يمكن أن نقاتل من أجلها. تعلم مجتمعاتنا الغربي من الإغريق أن للكلمات في هذه الصراعات أثر أطول بقاء من أثر السيف. أما الأعمق أثراً فهو الجدل العقلي"¹³⁴.

الخاتمة:

من المؤكد أننا نريد السلام وتتطلع إليه، كما يتطلع إليه كل إنسان عاقل بصير، وهذا ليس مجرد حلم، بل ضرورة إنسانية وحضارية لا بد أن نناضل ونجاهد من أجلها قبل كل شيء، فالإنسان المكرّم يحتاج إلى حياة كريمة تليق بمقامه ومكانته في هذا الكون قال تعالى: "ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً" الإسراء الآية 70. وقد آن الأوان للإنسانية أن تضع حدّاً للمذابح والمجازر والإبادات، وكل أشكال العنف والصراعات، فالتهدئة ضرورة حضارية وإنسانية لازمة، وتستجيب لنداء الأمل الإنساني والطيبة البشرية وتلتفت لشعار المظاهرات في العالم "أوقفوا الحرب" "STOP THE WRR" وتعيش حياة السلام والأمن والتسامح التي بها.

إننا نعتقد في واقعية وأهمية هذا الأمل، وهذا ليس ببعيد عن الإنسان إذا استنار بالعلم والمعرفة واهتدي بنور العقل والحكمة. وتسليح بالعقلانية النقدية التي من شأنها أن تصحّح أخطاء الماضي وتتجاوزها إلى الأبد ودون رجعة، فهو الكائن القادر على التدبر والتدبير والتجديد والتغيير وتحقيق العيش السعيد، وقد انتهينا إلى أنّ تحقيق هذا الأمل ممكن جدّاً - بخلاف ما يعتقد الكثير - متى توفرت الظروف وتهيأت له الأسباب منها:

- نظام ديموقراطي عادل يحقق العدالة والمساواة، باعتبارها غاية الغايات ومطلب كل الشعوب.
 - التربية والتعليم التي تصنع الإنسان الصالح المستنير، الذي يدرك معنى التعارف والتعايش مع الغير.
 - تكريس القيم الأخلاقية والدينية والإنسانية الفاضلة التي دعا إليها الأنبياء والفلاسفة والمصلحون وغرسها في الناشئة، ونشرها في المجتمعات من خلال المؤسسات الاجتماعية والثقافية، ووسائل الاتصال المختلفة.
 - وأخيرا نخبة مستنيرة حرة تتحمل مسؤوليتها كاملة أمام أمتها وأمام الإنسانية جمعاء، تحمل عقلانية نقدية باعتبارها أساس كل تنوير وتغيير، وتتطلع إلى عالم أفضل.
- إنّ الجميع يدرك بلا شك حجم المعاناة التي تحملتها ولا زالت تتحملها الإنسانية جرّاء الحروب والصراعات المختلفة، فلا زالت الآلة الحربية إلى هذه الساعة تحصد أرواح في أوكرانيا وغزة... وغيرها، وتنفق عليها الحكومات أموالا باهظة، وكل ذلك لا يحقق الأهداف المرجوة بشكل نهائي، وهذا ما يدفعنا للتفكير بجد خاصة المفكرين مثا وأصحاب القرار للتضال من أجل تضيق دائرة الحروب والعنف وتوسيع دائرة السلام والتسامح باعتبارها أولى الأولويات. لا بد من التزود بالعقلانية النقدية التي تكشف عن كل الأخطاء التي تسببت في إشعال نار الحرب والصراع ومحاربتها حتى لا تتكرر مرة أخرى. ووضع حدّ لكل خطابات الكراهية والتطرف وتجريم كل من يدعو إليها ويشجع عليها، ويجب تحرير هيئة الأمم المتحدة من هيمنة القوى العظمى وإعطائها صلاحيات أكبر حتى تستطيع إحالة كل مجرمي الحرب للعدالة والقصاص، فلا يعقل أن يباد شعب أو طائفة بسبب طاغية فاسد.
- إذا لم نستطع القضاء على العنف نهائياً، فإننا يمكن التقليل من حدّته وشراسته بتجفيف منابعه والحيلولة بينه وبين أسبابه، وهذه هي المهمة الأولى التي يجب أن تعمل التّخب العلمية والفكرية والسياسية والدينية والفنية على تحقيقها، فقد أدرك الإنسان أنّ الحرب والعنف والصراع لا خير فيه، فهي تُدِير في اليوم الواحد إنجازات ومشاريع عقود متتالية. وكلما ازدادت حدة وشراسة واتساعاً اقترنا من الدمار الشامل وهذا ما لا يتناهى أي إنسان.
- الهوامش:**

- 1 - خيرى وجدي، نظرية الديمقراطية عند كارل بوبر، المجلي الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2016، ص 07
- 2 - بوبر كارل، بحثا عن عالم أفضل، ترجمة أحمد مستجير، الهيئة العامة للكتاب، الإسكندرية، دط، 1999، ص 26
- 3 - ديورانت ول، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف بيروت، لبنان، دط، دت، ص 44
- 4 - خيرى وجدي، المرجع نفسه، ص 178
- 5 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص 261
- 6 - خيرى وجدي، المرجع نفسه، ص 178
- 7 - مطر حلمي أميرة، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 1998، ص 322
- 8 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص 220
- 9 - مطر حلمي أميرة، المرجع نفسه، ص 323
- 10 - ديورانت ول، المرجع نفسه، ص 365
- 11 - بوعرفة عبد القادر، العرب أسئلة الماضي والحاضر والمستقبل، ابن النديم للنشر والتوزيع الجزائر، دار الروافد الثقافية ناشرون، بيروت لبنان، ط1، 2016، ص 250
- 12 - سبينوزا باروخ، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005، ص 109
- 13 - ديورانت ول، المرجع نفسه، ص 100
- 14 - خيرى وجدي، المرجع نفسه، ص 186
- 15 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص 151
- 16 - بوبر كارل، المجتمع المفتوح وأعداؤه، ترجمة السيد نقادي، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1998، ص 09
- 17 - خيرى وجدي، المرجع نفسه، ص 175
- 18 - بوبر كارل، بحثا عن عالم أفضل، ص 254
- 19 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص 252
- 20 - حمانه البخاري، عن التطرف وعن الإرهاب، مجلة أبعاد، الجزائر، العدد 05، جانفي 2018، ص 13
- 21 - ديورانت ول، المرجع نفسه، ص 186
- 22 - ديورانت ول وايريل، قصة الحضارة، ج2، المجلد الرابع، ترجمة، محمد بدران، دار الجيل للنشر والطبع والتوزيع، بيروت، دط، دت، ص 41.

- 23 - حافظ طوقان قدري، مقام العقل عند العرب، دار القدس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 2002، ص 229
- 24 - بوبر كارل، بحثا عن عالم أفضل، ص 153
- 25 - بوبر كارل، المجتمع المفتوح وأعداؤه، ص 169
- 26 - خيرى وجدي، المرجع نفسه، ص 160
- 27 - بوبر كارل، المجتمع المفتوح وأعداؤه، ص 148
- 28 - ديورانت ول، المرجع نفسه، ص 32
- 29 - بوبر كارل، المجتمع المفتوح وأعداؤه، ص 142
- 30 - ديورانت ول، المرجع نفسه، ص 30
- 31 - بوبر كارل، بحثا عن عالم أفضل، ص 190
- 32 - روسو جون جاك، العقد الاجتماعي، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، دط، 2013، ص 115
- 33 - روسو جون جاك، المرجع نفسه، ص 119
- 34 - الفارابي أبو نصر، آراء أهل المدينة الفاضلة، دار المشرف، بيروت، لبنان، ط 2، 1986، ص 29
- 30.
- 35 - بوعرفة عبد القادر، العرب أسئلة الماضي والحاضر والمستقبل، ص 206
- 36 - بوعرفة عبد القادر، المرجع نفسه، ص 24
- 37 - الغزالي مُحمَّد، تأملات في الدين والحياة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط 4، 2005، ص 76
- 38 - روسو جون جاك، المرجع نفسه، ص 117
- 39 - ديورانت ول، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ص 37
- 40 - بوبر كارل، بحثا عن عالم أفضل، ص 65
- 41 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص 265
- 42 - خيرى وجدي، المرجع نفسه، ص 156
- 43 - بوبر كارل، بحثا عن عالم أفضل، ص 138
- 44 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص 35
- 45 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص 44
- 46 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص 50
- 47 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص 15

- 48 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص35
- 49 - مطر حلمي أميرة، المرجع نفسه ، ص323
- 50 - أمين أحمد، كتاب الأخلاق، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، دط، 2012، ص60
- 51 - خيرى وجدي، المرجع نفسه، ص29
- 52 - ديورانت ول، المرجع نفسه، ص46
- 53 - بوبر كارل، بحثا عن عالم أفضل، ص219
- 54 - ديورانت ول، المرجع نفسه، ص53
- 55 - بلام مُجّد الصاق وآخرون، العلامة مُجّد البشير الإبراهيمي وآفاق الحائثة، منشورات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر، دط، 2016، ص317
- 56 - ديورانت ول، المرجع نفسه، ص87
- 57 - خيرى وجدي، المرجع نفسه، ص162
- 58 - بوبر كارل، بحثا عن عالم أفضل، ص170
- 59 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص12
- 60 - بلام مُجّد الصاق وآخرون، المرجع نفسه، ص318
- 61 - أمين أحمد، المرجع نفسه، ص60
- 62 - أبو ريان مُجّد علي، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار النهضة العربية بيروت، لبنان، ط2، 1973، ص169
- 63 - سبينوزا باروخ، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص10
- 64 - ديورانت ول، المرجع نفسه، ص195
- 65 - زكريا فؤاد، التفكير العلمي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1978، ص147
- 66 - بوبر كارل، بحثا عن عالم أفضل، ص59
- 67 - بوبر كارل، المجتمع المفتوح وأعدائه، ص198
- 68 - سبينوزا باروخ، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص14
- 69 - ديورانت ول، المرجع نفسه، ص99
- 70 - الكبيسي مُجّد محمود، فلسفة العلم ومنطق البحث، بيت الحكمة، بغداد، دط، 2009، ص11
- 71 - خيرى وجدي، نظرية الديمقراطية عند كارل بوبر، ص185
- 72 - سبينوزا باروخ، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص14
- 73 - ديورانت ول، المرجع نفسه، ص630

- 74 - بوبر كارل، بحثا عن عالم أفضل، ص 221
- 75 - سبينوزا باروخ، المرجع نفسه، ص 16
- 76 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص 243
- 77 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص 251
- 78 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص 159
- 79 - خيري وجدي، المرجع نفسه، ص 147-148
- 80 - خيري وجدي، المرجع نفسه، ص 49
- 81 - خيري وجدي، المرجع نفسه، ص 171
- 82 - خيري وجدي، المرجع نفسه، ص 142
- 83 - خيري وجدي، المرجع نفسه، ص 137، 138
- 84 - بلام مُحمد الصاق وآخرون، العلامة مُحمد البشير الإبراهيمي وآفاق الحائنة، ص 65
- 85 - ديورانت ول، المرجع نفسه، ص 365
- 86 - بوبر كارل، بحثا عن عالم أفضل، ص 168
- 87 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص 188
- 88 - الغزالي أبو حامد، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، شركة الشهاب - الجزائر، دط، 1989، ص 57
- 89 - الكندي يعقوب بن إسحاق، رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة حسان، القاهرة، ط 2، دت، ص 122، 121
- 90 - ديورانت ول، المرجع نفسه، ص 88
- 91 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص 138
- 92 - خيري وجدي، المرجع نفسه، ص 174
- 93 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص 144
- 94 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص 167
- 95 - سبينوزا باروخ، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 08
- 96 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص 108
- 97 - خيري وجدي، المرجع نفسه، ص 146
- 98 - غليون برهان، الانتلجنسيا والسياسة والمجتمع، دار الاجتهاد، بيروت، دط، 1989، ص 17
- 99 - بلام مُحمد الصاق وآخرون، المرجع نفسه، ص 299
- 100 - إمام عبد الفتاح إمام، محل إلى الفلسفة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 1990، ص 12

- 101 - ديورانت ول، المرجع نفسه، ص 32، 33
- 102 - خيرى وجدي، المرجع نفسه، ص 145
- 103 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص 154
- 104 - سبينوزا باروخ، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 12
- 105 - سبينوزا باروخ، المرجع نفسه، ص 12
- 106 - خيرى وجدي، المرجع نفسه، ص 185
- 107 - ديورانت ول، المرجع نفسه، ص 363
- 108 - النشار مصطفى، في فلسفة الحضارة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط 1، 2015، ص 37.
- 109 - إمام عبد الفتاح إمام، محل إلى الفلسفة، ص 13
- 110 - بوبر كارل، بحثا عن عالم أفضل، ص 119
- 111 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص 150، 151.
- 112 - بلام مُحمَّد الصاق وآخرون، المرجع نفسه، ص 101
- 113 - بلام مُحمَّد الصاق وآخرون، المرجع نفسه، ص 11، 12
- 114 - بلام مُحمَّد الصاق وآخرون، المرجع نفسه، ص 315
- 115 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص 245
- 116 - ديورانت ول، المرجع نفسه، ص 206
- 117 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص 177
- 118 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص 178
- 119 - الغزالي أبي حامد، المتخذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، تحقيق جميل صليبا وكامل عياد، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ط 7، 1967، ص 74
- 120 - مؤنس حسن، تاريخ موجز الفكر العربي، دار الرشاد، القاهرة، ط 1، 1996، ص 79
- 121 - ديورانت ول، المرجع نفسه، ص 630
- 122 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص 167
- 123 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص 271
- 124 - بن نبّي مالك، شروط النهضة، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، ط 1، 1979، ص 56
- 125 - بوعرفة عبد القادر، العرب أسئلة الماضي والحاضر والمستقبل، ص 30
- 126 - الغزالي مُحمَّد، تأملان في الدين والحياة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط 4، 2004، ص 116
- 127 - بوعرفة عبد القادر، مرجع نفسه، ص 75

- 128 - بوعرفة عبد القادر، مرجع نفسه، ص 255
129 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص 179
130 - سبينوزا باروخ، المرجع نفسه، ص 15
131 - بلام مُحمد الصاق وآخرون، المرجع نفسه، ص 300
132 - بلام مُحمد الصاق وآخرون، المرجع نفسه، ص 366
133 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص 226
134 - بوبر كارل، المرجع نفسه، ص 152